أمراض القلوب
ودور الداعية في علاجها

الدكتور
تيسير محجوب الفتياني
أستاذ مشارك



دار المأمون للنشر والتوزيع

أمراض القلوب

ودور الداعية في علاجها

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٦/٢٨٢٠)

٢١١
الفتياني، تيسير محجوب
أمراض القلوب ودور الداعية في علاجها/تيسير محجوب الفتياني. _ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
(٩٦) ص
ر.إ.: (٢٠١٦/٦/٢٨٢٠).
الواصفات: / الثقافة الإسلامية /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-77- 417-2 ردمك

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

أمراض القلوب

ودور الداعية في علاجها

الدكتور
تيسير محجوب الفتياني
أستاذ مشارك



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

ملخص
أمراض القلوب
ودور الداعية في علاجها

قامت هذه الدراسة بتناول أمراض القلوب ودور الداعية في العلاج وذلك من خلال الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال السلف الصالح وبعض الآثار الواردة في القلوب وأمراضها وعلاجها.

كما تناولت نظرة الإسلام إلى القلوب، والمقصود بحياتها وصحتها وعلامات ذلك، وأمراض القلوب وآثارها وعقوبات الذنوب الناتجة عنها، ودور الداعية في علاجها حتى يبقى الإنسان سليمًا معافى من كل مكروه.

الكلمات المفتاحية

القلب: لغة واصطلاحًا.

القلب الصحيح.

القلب المريض.

القلب القاسي.

القلب الميت.

Heart Deseases and the Role of Caller For Allah in it's Recovery

This study deals with heart diseases and the role of Callers for Allah in curing, that is by the holy Qura'n Verses (ayat) and the prophet's sayings and the sayings of the prophet's followers and the said diseases of the heart and it's recovery.

It also deals with the Islam point of view to hearts and what is meant by it's life and it's health and the signs of that and heart diseases and their influence and penalties and the role of the Caller for Allah in curing them so Man remains safe and healthy clear of any harm.

Key Words

Heart in language and convention.

Safe heart.

Sick heart.

Hard heart.

Dead heart.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، وصلى الله على سيدنا محمد طبيب القلوب الأكبر الذي أطلعنا على أمراض القلوب، ووضع لها العلاج النافع وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

فالقلوب تمرض كما تمرض الأجسام، والاهتمام بالأجسام عند كثير من الناس أعظم؛ فبنوا لذلك ما يصلحها ويصلح لها؛ وأنفقوا في علاجها مبالغ طائلة، أما أمراض القلوب فلا يعبأ بها إلا قليل مع أنها أخطر وأشد ضرراً؛ فأمراض القلوب هي الداء العضال؛ لأنها خفية، وكثير لا يعرفونها، وإن عرفها البعض صعب عليهم الصبر على علاجها.

والبصير الذي فتح الله عليه يعلم أن القلب هو ملك الأعضاء ومصدر سعادتها أو شقائها ومصدر صلاحها أو فسادها، قال ﷺ: **«ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»**(١) .. فالقلب هو الأساس، وهو موضع نظر الله تعالى، ومحل عنايته، وهو مستند القبول والفلاح في الآخرة.

فصلاح أعمال العبد بحسب صلاح قلبه، وفساد أعمال العبد بحسب فساد قلبه، فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع عند الله غيره، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢).

فمحبة الله لا تدخل قلباً فيه حب الدنيا إلا إذا دخل الجمل في

---

(١) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، في(الإيمان/١٢٦/١-فتح)، ومسلم، أبوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في (المساقاة/١٢١٩/٣)، متفق عليه.

(٢) [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

سم الخياط، فالهدف من ذكر أمراض القلوب لعلها تكون سبباً إن شاء الله في الابتعاد عنها.

وللداعية دور مهم في علاج أمراض القلوب، ولتحقيق ذلك لا بد من إعداد الداعية إعدادًا جيدًا ليقوم بهذا الدور، وليكون قدوة في أقواله وأفعاله. فالداعية العالم العامل مشرق القلب دائمًا، منفتح على جميع عباد الله ويريد الخير لكل عباد الله، ويستلزم ذلك أن يكره ويبغض مرض القلوب مع رجائه الشفاء التام والعاجل لكل مريض، يسعى لعلاجه وإصلاحه والشفقة عليه، ويضع الخطط اللازمة، ويقوم بالأدوار المناسبة لنجاته وحمايته.

والداعية المخلص يريد للناس جميعًا السعادة الخالدة وأن يشاركوه في سلامة القلب؛ لأنه يعلم أن الله لا يقبل من أحد عملا إلا من جاءه بقلب سليم، فالقلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنود له طائعون فيما يأمرهم به من خير أو شر، فإن كان صالحًا كانت جنوده صالحة، وإن كان فاسدًا كانت جنوده فاسدة.

سبب اختيار الموضوع

في هذا العصر المادي انتشر كثير من أمراض القلوب بين الناس كالحسد والبخل والظلم ومرض الشبهات والشهوات وغير ذلك كثير، كما أن كثيرًا ممن أصاب قلوبهم المرض لم يحسوا بالألم بسبب سكرة الجهل والهوى التي تحول بين المريض وبين إدراك الألم، وكثير من الناس لم ينتبه إلى أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير، وموته وظلمته مادة كل شر، فإن كان القلب سليمًا، صلحت حركات الجوارح، ونشأ من ذلك فعل الطاعات واجتناب المحرمات، وإن كان فاسدًا فسدت حركات الجوارح، وانبعثت إلى المعاصي بحسب اتباع هوى القلب، فلا بد من داعية ماهر يصلح أمراض القلوب...

أسئلة البحث

يتوقع الباحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

١- هل القلوب تمرض؟ وهل لها علاج؟

٢- ما هي أمراض القلوب؟

٣- ما مدى اهتمام الإسلام وعنايته بأمراض القلوب؟

٤- ما دور الداعية في علاج القلوب؟

وقد ارتأى الباحث تعميمًا للفائدة أن يقسم البحث إلى المباحث التالية:

المبحث الأول
تعريفُ القَلبِ في اللُّغةِ وَالاصْطلاحِ وَالطِّب والنصوص الشرعية ضمن المطالبَ الآتية :

المطلب الأول : تعريف القَلْبِ لُغةً.

القَلبُ لُغةً: من التقلب في الأمور(١)، وقَلْبُ كل شيء: لُبُّهُ وخَالصُهُ. وهو مُضْغَةٌ من الفُؤاد مُعلقةٌ بالنِّيَاطِ(٢)، وهو خالص ما في البدن، وخالصُ كلِّ شيء قَلبُهُ، أو لأنه وُضعَ في الجَسدِ مَقلوباً(٣).

المطلب الثاني : تعريف القَلبِ اصْطلاحاً

عرَّف الإمام الغزالي(٤) القلب بقوله: لفظ القلب يطلق لمعنيين:

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه، وهذا موضع اهتمام الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت.

أما الثاني: فهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين عبدالله محمد بن مكرم المعروف بابن منظور)، لسان العرب، دار صادر بيروت، ٢٧١/١١.

(٢) النياط: عرق معلق به القلب، ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤١٨.

(٣) ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، التبيان في أقسام القرآن، دار الكتاب العربي، ص ٢٦٣.

(٤) الغزّالي، أبو حامد محمد الطوسي،(٢٠١١م)، إحياء علوم الدين، ط٢، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ص ٢.

تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك، العالم، العارف، من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني(١).

فلا صلاح للقلب حتى تستقر فيه معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه.

المطلب الثالث: مفهوم القلب عند الأطباء.

يعرف علم التشريح القلب بأنه عضلة كمثرية الشكل توجد في القفص الصدري، وأنها المسؤولة عن ضخ الدم إلى أجزاء الجسم المختلفة، وعلى هذا الأساس التشريحي يمكن فهم قول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(٢)، فإن المعروف اليوم عند الأطباء أنه حينما يكون القلب صالحًا سليمًا فإن الدورة الدموية تستقيم، وتنال كل خلية من الجسم نصيبها من الدم الذي يحمل لها الغذاء والأوكسجين والذي به يتم احتراق المواد الغذائية، وانطلاق الطاقة وصلاح الجسم، وأنه إذا فسد القلب اختل نظام الدورة الدموية واختل وصول الغذاء والأوكسجين إلى خلايا الجسم المختلفة فيفسد الجسد كله، وهذا كله يوافق ما أشار إليه الحديث الشريف(٣).

---

(١) الغزالي:، إحياء علوم الدين، المرجع السابق، ص ٢.

(٢) رواه مسلم برقم ١٠٧- (١٥٩٩)، وأخرجه البخاري ٥٢، ٢٠٥١.

(٣) عبد الآخر حماد، القلب بين التعريف الطبي والاصطلاح القرآني، المختار الإسلامي، موقع شبكة النور.

المطلب الرابع: تعريف القلب في النصوص الشرعية:

ومن جانب آخر نجد النصوص الشرعية تتحدث عن القلب باعتباره محلاً للإيمان والفقه والعقل، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾(١)، وقوله: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾(٢). وقوله: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾(٣).

فالظاهر من هذه الآيات وأشباهها أن القلب هو محل الإيمان ومركز الفقه والعقل، وأن مدلوله يتعدى كونه مجرد عضلة تضخ الدم إلى أجزاء الجسم المختلفة ليكون محلاً للأفكار والاعتقادات والعواطف، ولو أخذنا بظاهر ذلك لكان معنى نقل قلب إنسان لإنسان آخر أن المنقول إليه سوف يتحول إلى شخصية الإنسان المنقول منه القلب، وهذا خلاف ما ثبت من خلال عمليات زراعة القلب البشري والصناعي وأصبح حقيقة علمية لا جدال فيها من

---

(١) [سورة المائدة: الآية٤١].
(٢) [سورة الحج: الآية ٤٦].
(٣) [سورة الأعراف: الآية ١٧٩].

أن حياة الشخص المنقول إليه تستمر بجسده وفكره وعاطفته وحواسه وإدراكه، كما جاء في دراسة طبية أعدتها وزارة الصحة السعودية، قد جاء في تلك الدراسة أيضًا أن المخ هو مكان استقبال جميع الحواس من سمع وبصر وشم وذوق ولمس، كما أنه المكان الوحيد للاتصال بالعالم الخارجي(١).

وبناء على هذه الدراسة وغيرها قرر مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمره الثالث عام ١٤٠٧هـ أن الشخص يعتبر قد مات وتترتب جميع الأحكام المترتبة على موته شرعًا إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين: إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه، أو إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً وحكم الأطباء الأخصائيون والخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه وأخذ دماغه في التحلل، وفي هذه الحالة يجوز رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليًا بفعل الأجهزة المركبة.

ولذلك فإن الذي أميل إليه في هذه القضية ومال إليه غيري هو أن المقصود بالقلب الذي هو محل الإيمان والفهم والعقل والحب والبغض أوسع من مجرد القلب العضلي المعروف، وقد يكون القلب - المشار إليه بأنه محل الإيمان والكفر والحب والبغض -قد يكون والله أعلم إشارة إلى شيء ما معنوي أو مادي في جسم الإنسان له ارتباط بالمخ والجهاز العصبي من ناحية، وله ارتباط بالقلب العضلي المعروف من ناحية أخرى، وقد ذهب أبو حامد الغزالي إلى نحو ذلك حين ذكر أن هناك كيانًا معنويًا في جسم الإنسان هو الذي يطلق عليه القلب في القرآن، وهذا الكيان هو الكيان المخاطب والمعاقب في الإنسان، وليس هو

(١) السالوس، علي، الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة، (٢/ ٨٤٣ وما بعدها).

القلب المادي المعروف وإن كان له به تعلق لا ندرك كنهه. كما ذكر الدكتور زغلول النجار(١) في بعض مقالاته أن الوظائف التي ينسبها القرآن الكريم للقلب من الفهم والعقل ونحوه لا يظهر ارتباطها مباشرة بالقلب الذي هو مجرد عضلة في الصدر، وإن كنا لا نستبعد أن تكون تلك الوظائف مرتبطة بالقلب بصورة لم يدركها الإنسان بعد(٢).

(١) زغلول، راغب محمد النجار، موقع طريق الإسلام، العلماء والدعاة.
(٢) مرجع سابق، رقم ٩.

المبحث الثاني

أنواع القلوب

المطلب الأول: أنواع القلوب في القرآن الكريم

أنواع القلوب دلت عليها نصوص كثيرة من القرآن(١)، وبعد تدبر هذه النصوص وجدت أنواعًا متعددة أجملها على النحو الآتي:

المسألة الأولى: القلب الصحيح.

المسألة الثانية: القلب المريض.

المسألة الثالثة: القلب القاسي.

المسألة الرابعة: القلب الميت.

المسألة الأولى: القلب الصحيح

«وهو القلب السليم الطاهر البريء من العلل والأمراض وآثارها التي لا ينجو أحد يوم القيامة إلا مَنْ أتى الله به، كما قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢).

وقد ورد في أدعية الرسول ﷺ «**اللهم إني أسألك قلباً سليماً**»(٣) فالقلب السليم هو الذي قد سلم من كل شهوة تخالف

---

(١) عبد المنان، حسان، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٤٨ – ص ٤٥٠، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) [سورة الشعراء: ٨٧-٨٩].

(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، ١٢٥/٤- ، النووي: (أبو زكريا يحيى

أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله.

ويكون القلب سليماً بسلامته من الاعتقادات الفاسدة والإرادات الفاسدة وما يتبع ذلك(١)، وهو السليم من الآفات التي تعتري القلوب المريضة من مرض الشبهة التي توجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التي توجب اتباع ما تهوى الأنفس، فالقلب السليم الذي سلم من هذا وهذا(٢)، وهو القلب الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال، والتباعد عن سخطه بكل طريق، وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده(٣).

والقلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى، إرادة ومحبة، وتوكلاً وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاء، وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال، من أقوال القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها وأعمال الجوارح فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقّه وجلّه هو ما جاء به

بن شرف النووي)، الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة. ص ٢٣.

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الباب الأول من انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم، ج١، ص ٧. المكتبة الشاملة.

(٢) ابن القيم، الروح، مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص٥٤٤.

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥، ج١، ص ١٠.

الرسول ﷺ لا يضره ما يلقيه الشيطان أبداً(١).

قال أحد الحكماء: (صاحب القلب السليم هو الذي لم يلعن شيئاً قط)(٢) وهو القلب الخالص، الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة. وقال ابن القيم 6: (وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم)، وقد أثنى الله تعالى على خليله ﷺ بسلامة القلب فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾(٣) من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة(٤)، فسلم من كل قاطع يقطعه عن الله فصاحبه في جنة معجلة في الدنيا وفي جنة البرزخ، وجنة يوم المعاد.

المسألة الثانية: القلب المريض

تعريف القلب المريض:

لغة: وهو كل ما يخرج الإنسان عن الصحة في الدين أو العداوة للمؤمنين أو الفتور عن الحق(٥).

واصطلاحًا: هو نوع فساد يحصل للإنسان يفسد به تصوره وإرادته، وسببه الشبهات التي تعرض على القلب حتى لا يرى الحق حقاً أو يرى الحق على خلاف ما هو عليه، فيبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار(٦) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فِي

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٧-٨.
(٢) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الأندلسي، جامع البيان في تفسير آيات القرآن، ٢٣/٧٠.
(٣) [سورة الصافات: ٨٣-٨٤].
(٤) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص١٨٣.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ٨٠/١٣.
(٦) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج ١، ص٩.

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(١) أي شك وريب، ولهذا يمرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة؛ فالقلب المريض له حياة وبه علة، فيه حياة لما فيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه، وفيه مرض لما فيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، وفيه حسد وكبر وعجب وحب العلوم والفساد في الأرض بالرياسة، وهذه هي مواد هلاك القلب وعطبه(٢)، وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يعرف بذلك صاحبه لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها وعدوله عن العلاجات النافعة، وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء.

المسألة الثالثة: القلب القاسي

ومعناه ذهاب اللين والرحمة والخشوع، وهو غلظ القلب وشدته، وقد عرفه ابن تيمية بقوله: (هو الجاحد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يكتب فيه الإيمان ولا يرتسم فيه العلم لأن ذلك يستدعي ليناً قابلاً(٣)، ويكون عقوبة لنقض الميثاق مع الله ومخالفة أمره وارتكاب نهيه بعد أخذ المواثيق والعهود، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا

(١) [سورة البقرة: ١٠].
(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مرجع سابق، ٩/١.
(٣) ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى، ٢٧١/١٣.
(٤) [سورة البقرة: ٧٤].

قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾(١).

وقد ذكر الحافظ بن رجب أسبابًا لقسوة القلب(٢):

١. التفقه لغير العمل وتحريف الكلم وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها.
٢. نسيان حظ مما يذكر به الإنسان من العلم النافع فلا يتعظ به.
٣. الابتعاد عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٣).

المسألة الرابعة: القلب الميت:

وهو الذي لا حياة فيه فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه الله ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضي ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله، حباً وخوفاً ورجاءً ورضاء وسخطاً وتعظيماً وذلاً، إن أحب أحب لهواه، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه، فالهوى إمامه والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه، فهو في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور، لا يستجيب

---

(١) [سورة المائدة: ١٣].
(٢) ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي، ط١، مجلد١، ص ٣٩٦، دار العاصمة. (بتصرف).
(٣) [سورة الزمر: ٢٢].

لناصح ويتبع كل شيطان مريد، الدنيا تسخطه وترضيه والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم، ومجالسته هلاك(١) لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحة قلبه وأسباب ذلك، فغالباً صاحب القلب الميت لا يشعر بموته، فلا تؤلمه جراحات القبائح ولا يوجعه جهله بالحق ويكون صاحب عقائد باطلة.

المطلب الثاني: أنواع القلوب في النصوص الشرعية

ينظر الإسلام إلى القلوب من خلال الأدلة المعتمدة، ولبيان ذلك قسمت المبحث إلى المسائل التالية:

المسألة الأولى: القلب في القرآن الكريم

بعد تتبع الآيات التي ورد فيها ذكر القلب في القرآن الكريم وجدت أن القلب ذكر في آيات كثيرة(٢) على النحو الآتي:

أ. ذكر القرآن القلب باسمه المباشر ومنها قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٤).

ب. عبر القرآن عن القلب بالفؤاد ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾(٥).

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (مرجع سابق)، ٩/١.
(٢) ورد لفظ القلب ومشتقاته من القرآن الكريم أكثر من (١٢٦) مرة. عبد المنان، حسان، ص ٤٤٨- ٤٥٠ .
(٣) [سورة: ق ٣٣].
(٤) [سورة: ق ٣٧].
(٥) [سورة: الفرقان: ٣٢].

جـ. عبر القرآن عن القلب بالعقل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ (١).

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): لمن له عقل(٢).

فحيثما ذكر القلب في القُرآن الكريم كان إلى التعقُّل والتعلُّم، وحيثما ذكر الصَّدر فإشارة على ذلك وإلى سائر القوى من الشهوات والهوى والغضب ونحوها، فالقلب موضع الشعور والأهواء والعقيدة والوجدان، والعقل والرأي؛ قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾(٣)، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾(٤)، فهو محلّ العقْل والفقْه والبصيرة والإرادة والسكون، وهو رئيس البدن وخالص الروح الإنسانية.

وقد تكرر ذكر القلب في القرآن الكريم أكثر من مائة وست وعشرين مرة (٥) نذكر منها:

١- القلب السليم: وهو مخلص لله وخال من الانحرافات، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٦).

---

(١) [سورة: ق ٣٧].
(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (١٩٨٩م)، تفسير البغوي، ٢٢٦/٤، ٢٢٦/٤، دار طيبة.
(٣) [سورة الأعراف: ١٧٩].
(٤) [سورة الحج: ٤٦].
(٥) النعيمي، قسطاس إبراهيم، الإعجاز العلمي في قوله تعالى: لهم قلوب يعقلون يعقلون بها، جامعة الإيمان، يناير ٢٠١٣، ص .
(٦) [سورة الشعراء: ٨٩].

٢- القلب المنيب: وهو دائم الرجوع الى الله وتوبه له، قال تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ **بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ** ﴾(١).

٣- القلب الوجل: وهو الذي يخاف الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ **وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٢).

٤- القلب التقي: وهو الذي يعظم شعائر الله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ **فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾(٣).

٥- القلب اللين: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ **ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ** إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (٤).

٦- القلب المريض: وهو الذي أصابه الشك أو النفاق، قال تعالى: ﴿ فَتَرَى **ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (٥).

---

(١) [سورة ق: ٣٣].
(٢) [سورة الأنفال: ٢].
(٣) [سورة الحج: ٣٢].
(٤) [سورة الزمر: ٢٣].
(٥) [سورة المائدة: ٥٢].

٧- القلب الأعمى: وهو الذي لا يبصر الحق، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ **وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(١).

٨- القلب الآثم: وهو الذي يكتم شهادة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا **فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢).

٩- القلب الرؤوف الرحيم: قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ **وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً** ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

١٠- القلب الغليظ: وهو الذي نزعت منه الرأفة والرحمة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ** لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ

---

(١) [سورة الحج: ٤٦].
(٢) [سورة البقرة: ٢٨٣].
(٣) [سورة الحديد: ٢٧].

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١).

١١- القلب القاسي: وهو الذي لا يعرف الله ولا يذكره، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ **فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(٢).

١٢- القلب الغافل: وهو الذي يغفل عن اداء دوره وعبادته بالحياة، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا** وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ .(٣)

١٣- القلب المختوم: قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ **وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم** مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾(٤).

١٤- القلب المطبوع: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ **وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** فَهُمْ لَا

(١) [سورة آل عمران: ١٥٩].
(٢) [سورة الحديد: ١٦].
(٣) [سورة الكهف: ٢٨].
(٤) [سورة الأنعام: ٤٦].

يَسْمَعُونَ ﴾(١).

١٥- القلب القوي: قال تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (٢).

١٦- القلب الخاشع: قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا **أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(٣).

١٧- القلب المقفل: قال تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ **قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾(٤).

١٨- القلب الحي: قَلْب يَعْقِل مَا قَدْ سَمِعَ مِنْ الْأَحَادِيث الَّتِي ضَرَبَ اللَّه بِهَا مَنْ عَصَاهُ مِنْ الْأُمَم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ** ﴾(٥).

١٩- القلب المكنون: قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ **قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً** أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا

---

(١) [سورة الأعراف: ١٠٠].
(٢) [سورة الكهف: ١٤].
(٣) [سورة الحديد: ١٦].
(٤) [سورة محمد: ٢٤].
(٥) [سورة ق: ٣٧].

﴾(١).
٢٠- القلب المهدي: الراضي بقضاء الله والتسليم بأمره، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾(٢).
٢١- القلب المخبت:الخاضع المطمئن الساكن، قال تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾(٣).
٢٢- القلب المتكبر: المستكبر عن توحيد الله وطاعته، الجبار بكثرة ظلمه وعدوانه، قال تعالى: ﴿قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٤).
٢٣- القلب اللاهي: غافل عن القرآن الكريم، مشغول بأباطيل الدنيا وشهواتها، لا يعقل ما فيه، قال تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾(٥).

﴾(٥).
٢٤- القلب المطمئن: يسكن بتوحيد الله وذكره، قال تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٦).
المسألة الثانية: القلب في السنة النبوية
٢٥- القلب الميت:
ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:«**لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت**

(١) [سورة الإسراء: ٤٦].
(٢) [سورة التغابن: ١١].
(٣) [سورة الحج: ٥٤].
(٤) [سورة غافر: ٣٥].
(٥) [سورة الأنبياء: ٣].
(٦) [سورة الرعد: ٢٨].

القلب»(١).

وهنا أوضح الحديث سبباً من أسباب موت القلب وغفلته، وهو كثرة الضحك، قال صاحب تحفة الأحوذي (أي تصيره مغموراً في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها مكروهاً)(٢).

٢٧- القلب المستقيم:

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه**»(٣).

قال ابن رجب: (فمتى استقام القلب على معرفة الله وخشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلب ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه) (٤).

٢٨- القلب الثابت:

ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»(٥).
يشاء»(٥).

قال الشوكاني: (والحاصل أن تثبيت قلب العبد على الدين

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، رقم ٨٠٨١، والترمذي رقم ٢٣٠٥، (حسنه الألباني).
(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي، رقم ٦/٤٨٧، وسنن الترمذي رقم ٢٣٥٠.
(٣) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، صحيح الترغيب، رقم ٢٥٥٤، حسنه الألباني.
(٤) ابن رجب الحنبلي، (١٤٠٨هـ)، جامع العلوم والحكم، ط١، ج١، دار المعرفة، بيروت، الموسوعة الشاملة.
(٥) مسلم، صحيح مسلم، (١٩٩٦م)، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب القلوب كيف شاء، دار الخبر، ص ٢٠٤٥.

وانصرافه إلى الحق من أعظم أسباب النجاة والفلاح والعصمة عن كثير من الذنوب) (١).

المسألة الثالثة: القلب في أقوال السلف الصالح:

لقد صال السلف الصالح وجال في الحديث عن القلب، من وجهات مختلفة،نذكر منها بعض أقوالهم:

أ- قال بكر المزني(٢): (والله ماسبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره) (٣).

ب- قال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان:

«القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه مثل السراج فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق كمثل قرحة يمدها القيح والدم، فأي المادتين غلبت صاحبتها أهلكته»(٤).

ج- «قال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم –رحمهما الله- إن القلوب ثلاثة:

قال شيخ الإسلام -6-: «جعل اللّٰه القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبتة؛ وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافاً، وإذعاناً، أو لا تكون يابسة جامدة(٥). جامدة(٥).

الأول: هو القاسي، وهو الجامد اليابس، بمنزلة الحجر لا ينطبع، ولا يكتب فيه الإيمان، ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلا لينا قابلاً.

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي، (١٩٨٤م)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ط١، ص ٣٨٢، دار القلم، بيروت.

(٢) المزني، أبو بكر بن عبد الله المزني البصري، موقع منتدى الإسلام.

(٣) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، فضائل الصحابة، رقم ١/١٧٣.

(٤) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر، ص٢٧٦.

(٥) ابن تيمية، شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، ١٣/٢٧٠-٢٧١.

والثاني: لا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه لا يزول عنه لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال. فالثاني: هو الذي فيه مرض، والأول هو القوي اللين؛وذلك أن القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلاً، فإما أن تكون جامدة يابسة لا تلتوي ولا تبطش، أو تبطش بعنف، فذلك مثل القلب القاسي، أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها، فذلك مثل الذي فيه مرض، أو تكون باطشة بقوة ولين، فهو مثل القلب العليم الرحيم، فبالرحمة خرج عن القسوة، وبالعلم خرج عن المرض، فإن المرض من الشكوك والشبهات، ولهذا وصف من عدا هؤلاء بالعلم والإيمان والإخبات (١).

د- قال ابن القيم – **6**-: «فالقلب الأول: حي مخبت لين واع، والثاني: يابس ميت، والثالث: مريض، فإما إلى السلامة أدنى، وإما إلى العطب أدنى»(٢) (٣).

---

(١) المرجع السابق.
(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤/١.
(٣) سعود بن حمد الصقري، مرض القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم – جمع ودراسة.

المبحث الثالث

المقصود بحياة القلب وصحته وعلامات ذلك

صحة القلب لها علامات وضعها العلماء لضبط الأمور المتعلقة بذلك، وبناء عليه قمت بتقسيم هذا المبحث إلى المطالب التالية:

المطلب الأول: المقصود بحياة القلب:

أن يكون صاحبه حيياً، أي في قلبه حياء يمنعه عن القبائح، فحياء القلب هو المانع من القبائح التي تفسد القلب، قال ﷺ: (الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)(١). وقال ﷺ: (الحياء من الإيمان)(٢). فالحي يدفع ما يؤذيه، بخلاف الميت الذي لا حياة فيه، فالقلب الحي يظهر عليه التأثر بالقبح وله إرادة تمنعه عن فعل القبيح، وتكون حياة القلب بأن يكون الله وحده هو غاية طلبه ونهاية قصده، فجمع القلب على الله والخواطر على السير إليه تسمى حياة حقيقية؛ لأن القلب لا سعادة له، ولا فلاح ولا نعيم ولا فوز ولا لذة، ولا قرة عين إلا بأن يكون الله وحده هو غاية طلبه ونهاية قصده، ووجهه الأعلى وهو كل بغيته(٣).

---

(١) أبو الفرج الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ط١، ج١، دار المعرفة، بيروت، الموسوعة الشاملة.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في العي، رقم ٢٠٢٧.

(٣) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر،(١٩٨٦م) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم ٢٤.

المطلب الثاني: علامات صحة القلب:

هناك علامات كثيرة لصحة القلب، وقد ذكرها العلماء في كتبهم نذكر منها الآتي:

١. أن يرتحل الداعية عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها وأنه في هذه الدار غريب يأخذ منها حاجته ويعود إلى وطنه، وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها(١).
٢. أن يتعلق الداعية بربه تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، ففيه يطمئن وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف، فذكره قوته، وغذاؤه ومحبته والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والالتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فإذا اتصل بربه سكن إليه واطمأن به وزال ذلك الاضطراب والتعلق، وانسدت تلك الفاقة، وبذلك يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خلق الخلق، ولأجله خلقت الجنة والنار وله أرسلت الرسل ونزلت الكتب(٢).
٣. أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه ويذكره به ويذاكره بهذا الأمر.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢/٣٥٦.
(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج١، المكتبة الشاملة.

٤. أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.
٥. أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعمه، وقرت عينه وسرور قلبه؛ فالصلاة صلة بين العبد وربه لا تنقطع(١)، وبذلك يدرك بأنه تحت العناية الإلهية فيخضع لما يرضي ربه.
٦. أن يكون همه واحدًاً وأن يكون في الله.
٧. أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شحاً بماله.
٨. أن يكون اهتمامه لتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منَّة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله.

والخلاصة أن القلب الصحيح؛ هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه(٢).

المطلب الثالث: أسباب حياة القلب وصحته

حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب، والقلب الصحيح الحي إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه، وأبغضها ولم يلتفت إليه بخلاف القلب الميت الذي لا يفرق بين الحسن والقبيح(٣)، وحتى يبقى القلب حياً وبصحة وعافية لا بد من اتخاذ الأسباب الآتية:

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.

١- قراءة القرآن الكريم وتدبره، فحياة القلب تكون بالاستجابة لما يدعونا إليه ربنا تبارك وتعالى ورسولنا الكريم من العلم والإيمان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١).

٢- ففي القرآن من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للمرض.

٣- والقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي، ويغتذى القلب من الإيمان بما يزكيه ويؤيده كما يغتذى البدن بما ينميه ويقومه، فإن زكاة القلب مثل نماء البدن، فالقلب يتغذى من القرآن بما يزكيه ويقويه ويؤيده ويفرحه ويسره وينشطه ويثبت ملكه، والقرآن هو الروح الذي تحيا به القلوب ونور تستضيء وتشرق به(٢).

٤- ترك المعاصي والفواحش: فحياة القلب بدوام ذكر الله، وترك الذنوب والمعاصي، لأن الذنوب أمراض القلوب وأدواؤها ولا دواء إلا بتركها، وترك الفواحش يزكي القلب فالمعاصي والفواحش بمنزلةالأخلاط الرديئة في البدن، فإذا تاب المرء من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال (٣).

---

(١) [سورة الأنفال: ٢٤].
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٩٥/١٠.
(٣) مرجع سابق، رقم ٨١.

قال عبدالله بن المبارك(١):

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

٥- الصدقة وتزكية القلب: حياة القلب وزكاته موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، والتوحيد يزكي القلب، لأنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وإثبات إلهية الحق في القلب وهو حقيقة لا إله إلا الله والذي هو أصل ما تزكو به القلوب، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، كذلك الصدقة تجعل القلب ينمو ويكمُل(٢).

٦- الأعمال الصالحة: فالعمل الصالح له أثر في صحة القلب ونفعه، فصلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية(٣)، فالعمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح، ويكون ذلك بفعل الحسنات وترك السيئات، فللحسنة نور في القلب، وقوة في البدن، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وللسيئة ظلمة في القلب، وسواد في الوجه، ووهن في البدن، ونقص في الرزق، وبغض في قلوب الخلق(٤)، والعمل الصالح يورث في القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح.

٧- العدل وهو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب، كما أن

---

(١) عبدالله بن المبارك المروزي، (١١٨هـ - ١٨١ هـ).
(٢) مرجع سابق، رقم ٨١، ٩٢.
(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، رقم الحديث: ٢٠٨١.
(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى.

الظلم فساده، فالذنوب ظلم للنفس، فصلاح القلب في العدل، وفساده في الظلم، فإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم والمظلوم، وإذا عدل فهو العادل والمعدول عليه، فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر(١).

٨- أن يستقر في القلب معرفة الله وعظمته وخشيته ومهابته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه وأن يمتلئ القلب بذلك، وهذا هو حقيقة التوحيد ومعنى لا إله إلا الله، فلا حياة للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له فكما أنه لو كان في السموات والأرض إله غير الله لفسدت، كذلك القلب(٢).

٩- أن يكون القلب مدركاً للحق مريداً له، مؤثراً له على غيره، فللقلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب، فإذا استعمل هاتين القوتين كان كماله وصلاحه فيما يعود عليه بالنفع والسعادة، فإذا استعمل قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل وصل درجة الكمال وإذا استعمل قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل وصل إلى درجة قوة الإرادة، فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غير الله عليه فهو مغضوب عليه، ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه(٣).

١٠- جمع القلب على الله أي أن يكون الله وحده هو غاية طلب الإنسان ونهاية قصده ووجهه الأعلى، فجمع القلب والخطر على الله والسير إليه هو الحياة الحقيقية؛ لأن

(١) ابن قيم الجوزية، الروائع السنية، أمراض القلوب وشفاؤها.
(٢) مرجع سابق، رقم: ٨١، ٩٢، ٩٤.
(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج١، الباب الخامس، ص ٢٤.

القلب لا سعادة له ولا فلاح ولا نعيم ولا فوز ولا لذة إلا بجمع القلب على الله، وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام، كان إحساسه بمفارقة أعداء الله باطناً وظاهراً أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد، فمن رزق قلباً طيباً ولذة مناجاة، فليراع حاله وليتحرز من التغيير، وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى(١).

المطلب الرابع: حكم الاعتناء والاهتمام بحياة القلب:

المتتبع لأقوال العلماء في حكم الاعتناء بالقلب نجد أنهم قالوا:

يجب على كل مسلم ومسلمة على وجه العموم، وعلى كل داعية على وجه الخصوص الاهتمام بحياة القلب؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وقد أجاد ابن رجب الحنبلي في ذلك حيث يقول: (فالقلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، وينفذون أوامره ولا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم(٢)، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٣).

كما يجب الاعتناء والاهتمام بحياة القلب؛ لأنه محل الإيمان كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى

(١) مرجع سابق، رقم: ٨١، ٩٢، ٩٤، ٩٨.
(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، مرجع سابق، ٢١٠/١.
(٣) [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾(٢).

فهذه الآيات تدل هذه على أن أصل الإيمان في القلب وأن الإيمان لا يبقى لأحد حتى يدخل القلب ويقوم به، والأدلة من السُّنة على أن أصل الأيمان في القلب كثيرة منها قوله ﷺ: «**ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وَهِيَ الْقَلْبُ**» (٣).

وفي هذا إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب، وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه(٤).

فيما تقدم تبين لنا أهمية القلب وأنه إذا صلح صلح الجسد كله.

---

(١) [سورة المائدة: ٤١].
(٢) [سورة المجادلة: ٢٢].
(٣) البخاري، صحيح البخاري، في(الإيمان/١/١٢٦- فتح)، ومسلم، في (المساقاة/٣/١٢١٩). متفق عليه، سبق تخريجه./١.
(٤) المقدم، محمد بن أحمد إسماعيل، (١٩٩٣م)، تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب، ط ١٠، دار طيبة.

المبحث الرابع

أمراض القلوب وآثارها وعقوباتها

القلوب تمرض، ولهذه الأمراض آثار وعقوبات ذكرها أهل العلم والاختصاص في هذا المجال، نقسمها إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف مرض القلب:

عرف العلماء مرض القلب بأنه: نوع فساد يحصل له يفسد به تصوره وإرادته، فتصوره: بالشبهات التي تعرض حتى لا يرى الحق حقاً أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار.

المطلب الثاني: سبب أمراض القلوب:

يعتبر العلماء بأن السبب الرئيسي في أمراض القلوب هو ضعف الإيمان، كما يقول ابن تيمية رحمه الله: (والمرض في القلب كالمرض في الجسد، فكما أن هذا هو إحالة عن الصحة والاعتدال من غير موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال من غير أن يموت القلب، سواء أفسد إحساس القلب وإدراكه أو أفسد عمله وحركته، وهذا من ضعف الإيمان إما بضعف علم القلب واعتقاده، وإما بضعف عمله وحركته، فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفزع فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل وغير ذلك تزيد في قلبه فجماع أمراض القلوب هي

أمراض الشبهات والشهوات(١). وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن يطهر قلبه(٢).

المطلب الثالث: أنواع مرض القلوب:

للقلب أنواع أمراض متعددة نذكر منها على سبيل المثال:

١. نوع لا يتألم به صاحبه في الحال كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات، ومع أنه من أعظم أنواع المرض ألماً، إلا أن صاحب القلب الفاسد لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر الأمراض وأصعبها؛ لأن فيه حب النفس لما يضرها وبغض ما ينفعها(٣).
٢. مرض مؤلم في الحال كالهم والحزن والغيظ.

المطلب الرابع: علامات أمراض القلوب:

يعلم العاقل أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، فإذا حصل ذلك الفعل كان العضو كامل النفع، أما إذا تعذر على العضو الفعل الذي خلق له أو صدر هذا الفعل مع نوع من الاضطراب، فإن العضو يكون مريضاً، ويكون مرض القلب بأن يتعذر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه والإنابة إليه، وإيثار ذلك على كل شهوة، فلو عرف العبد كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئاً، ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها، ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه

---

(١) مرجع سابق، رقم: ٨١، ٩٢، ٩٤، ٩٨.
(٢) العثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، ٥٣٦/٢، المكتبة الشاملة.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٩٩٥م)، المكتبة الإسلامية.

والأنس به، فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين، بل إذا كان القلب خالياً عن ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذاباً له فيصير معذباً بنفس ما كان منعماً به من جهتين: من جهة حسرة فوته، وأنه حيل بينه وبين النعيم الحقيقي، ومن جهة فوت ما هو خير له وأنفع وأدوم، فالمحبوب الحاصل فات من المحبوب الأعظم لم يظفر به (١).

وأخطر امراض القلوب: الحسد، والشح والبخل، والشهوة، والكبر، والرياء، والحب والبغض الخارجان عن الاعتدال، والجهل، والشك، والغيظ، والهم والحزن التي سبق ذكرها في المطلب الثالث، وهذه الأمراض تمنع السير الى الله فى الآخره ولها علامات:

- فالحسد يمنع قبول النصيحة من إخوانه، ويحمل معنى الاعتراض على تقسيم الله تعالى للنعم على عباده، وعلاجه بتوحيد الله تعالى وبالتقوى والصبر، وأن يعلم أن توزيع الأرزاق كان بعدله الذي قامت عليه السموات والأرض.
- الشح والبخل: وعلاماته الأنانية وحب الذات المتجذر في النفس، وعلاجه بأخذ العبرة ممن سبقه في هذه الصفة، وكيف كان شحه وبالا عليه.
- الشهوة: فالشهوة تجعله عبدًا لنفسه، وتركها يورث العفاف والصبر والعبادة، وعلاجه بالصوم وكثرة الاستغفار.
- الكِبر: فالكبر يمنع صاحبه من الانقياد إلى ربه وأحكامه، وقد نشأ من جهل العبد بربه ونفسه، فإذا عرف نفسه بالذل والنقص والآفات، وعرف ربه بالكمال والجلال؛ فإنه لا يتكبر، وعلاجه التواضع وذكر الموت.

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الباب العاشر في علامات مرض القلب وصحته، ج١، ص ٦٨.

- الرياء: الرياء مشتق من الرؤية، فالمرائي يرى الناس ليتقرب إليهم حباً في الدنيا وزينتها. والرياء في الدين هو أسوأ أنواع الرياء؛ لأنه قد يؤدي إلى الشرك وإحباط العمل والعبادة التي يرائي بها العبد أمام العباد، وعلاجه إخلاص النية في الأقوال والأفعال.
- الحب والبغض الخارجان عن الاعتدال، وعلاجهما أن يعمل على توطين نفسه على الاعتدال وعدم الميل إلى التطرف.
- الجهل، ومن علاماته التمسك برأيه وعدم قبوله للرأي الآخر. وعلاجه سؤال العلماء، فمن عالجه بعلوم لا تنفع فإنه يزيد مرضًا إلى مرضه.
- الشك: وعلاجه باليقين.
- الغيظ: الذي يحول دون العدل، ودواؤه في شفاء غيظه بأن يعلم أن نفسه لا تستحق أن يغضب لها، ويوطن نفسه على أن تغضب لله وترضى لله، فإن شفاه بحق أورثه العدل، وإن شفاه بظلم وباطل زاد مرضه من حيث ظن أنه يشفيه وأوجب له أمراضاً أخرى أصعب.
- الغم والهم والحزن، شفاؤها بأضدادها من الفرح والسرور فإن كان بحق شفي القلب وصح وبرئ من مرضه، وإن كان بباطل توارى ذلك واستتر ولم يزل، وأعقب أمراضاً هي أصعب وأخطر.

المطلب الخامس: آثار مرض القلب على حياة المسلم:

للمعاصي والذنوب آثار قبيحة مذمومة تضر بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، وضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟!!

ومن الآثـار:

١. حرمان العلم، فالعلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال له: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية، والله تبارك وتعالى وعد عباده المتقين البعيدين عن المعاصي بوفرة العلم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

٢. الوحشة في القلب بينه وبين الله، فليس على القلب أمر من وحشة الذنب على القلب، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

٣. الظلمة التي يجدها في قلبه يحس بها، فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة، ازدادت حيرة القلب فيقع في البدع والضلالات، والأمور المهلكة، حتى لا يشعر، وظلمة المعاصي إذا استمرت تصير سواداً في الوجه حتى يراه كل أحد، وكما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهناً في البدن ونقصاً

---

(١) [سورة البقرة: ٢٨٢].
(٢) [سورة الأنعام: ١٢٥].

في الرزق وبغضة في قلوب الحق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(١).

٤. الوهن: المعاصي تنهش في القلب، فلا تزال المعاصي توهنه حتى تزيل حياته بالكلية.

٥. الضعف: المعاصي تضعف القلب عن إرادته، فتقوى فيه إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ إرادة التوبة من قلبه كلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله وإن أتى بالاستغفار فهو استغفار الكاذبين باللسان؛ لأن قلبه معقود بالمعصية مُصر عليها عازم على مواقعتها متى أمكنه، وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

٦. الانسلاخ: القلب ينسلخ من استقباح المعاصي فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، ويصل إلى درجة الافتخار بالمعصية ويحدث بها من لم يكن يعلم أنه عملها، وهذا النوع من الناس لا يتعافى، وتسد عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم أبوابها في الغالب(٢).

٧. الران: الذنوب إذا تكاثرت تطبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(٣)، وهو الذنب بعد الذنب حتى يعمى القلب، فإذا كثرت ذنوب

(١) [سورة الأنعام: ٣٩].
(٢) أبو الفرج الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ط١، ج١، دار المعرفة، بيروت، الموسوعة الشاملة.
(٣) [سورة المطففين: ١٤].

العبد ومعاصيه أحاطت بقلبه فتهلكه.

٨. الطبع: يطبع الله على قلوبهم ... ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

المطلب السادس: عقوبات أمراض القلوب:

فالقلب الأعمى والأصم والأبكم له عقوبات كثيرة ومن أهمها:

١- فمرض القلب يطفئ من القلب نار الغيرة التي تخرج ما في القلب من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة، وأشرف الناس وأعلاهم قدراً وهمة، أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس؛ ولهذا كان النبي ﷺ أغير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت في الصحيح أنه قال: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللَّهِ! لأنَا أغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أغْيَرُ مِنِّي»(٢)، فالغيرة تحمي القلب وتدفع السوء والفواحش، فكلما اشتدت ملابسة المرء للذنوب أخرجت الغيرة من قلبه على نفسه وأهله وعموم الناس فلا يستقبح القبيح، وفي هذا دخول في باب الهلاك، والأقبح من ذلك أنه يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينها له، ويدعوه إليها ويحثه عليها، ويسعى له في تحقيقها.

٢- ذهاب الحياء، والذي هو أصل كل خير ومادة الحياة للقلب، فإذا ذهب الحياء ذهب كل خير(٣).

---

(١) [سورة الروم: ٥٩].

(٢) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٩٨٦م)، كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله. دار الريان للتراث.

(٣) ابن القيم، موانع اكتساب الحياء، موسوعة الأخلاق.

٣- إضعاف القلب من تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد، فلا يعظم الحرمات فيتجرأ على معصية ربه؛ لأنه ما قدر الله حق قدره(١).
٤- إضعاف سير القلب إلى الله والدار الآخرة وتعوقه وتوقفه وتعطفه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة واحدة، فإذا مرض القلب بالذنوب، ضعفت تلك القوة التي تسيره إلى الله، فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يبعد تداركه (٢).
٥- إلقاء الله سبحانه من الرعب والخوف في القلب المريض، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً، ويحسب كل صيحة عليه وكل مكروه قاصداً إليه، فمن خاف الله أمنه من كل شيء ومن لم يخف الله أخافه كل شيء(٣).
٦- توقع الوحشة العظيمة في القلب، فيجد نفسه مستوحشاً؛ لأن الوحشة وقعت بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه، وكلما اشتد المرض اشتدت الوحشة، وأمر العيش عيش المستوحشين الخائفين لسوء حاله وعظيم غبنه(٤).
٧- تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلولاً، ولا ينتفع بالأغذية التي فيها حياته وصلاحه، لأنه لم يخالف هواه(٥).
٨- أسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟! وإذا تقيد

(١) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (١٩٩٧م)، ج١، فصل المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب، دار المعرفة.
(٢) ابن القيم، الداء والدواء، المعاصي سبب إضعاف سير القلب إلى الله.
(٣) النابلسي (محمد راتب)، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، الدرس (٧-٣٠) لماذا يخاف الإنسان؟
(٤) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص ٣٩.
(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ٩٦/١٠-٩٧ (بتصرف).

طرقته الآفات من كل جانب، فكلما كان القلب أبعد من الله كانت الآفات إليه أسرع، وكلما كان أقرب من الله بعدت عنه الآفات(١).

٩- إنه قد يخونه قلبه ولسانه إذا وقع في شدة أو كرب أو بلية أو عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، فلا يطاوعه لسانه لذكر ربه، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه، وإن دعا دعا بقلب غافل لاهٍ ساهٍ، وأخطر ذلك أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما نشاهد بعض المحتضرين يهذي بالغناء وبعضهم بالكفر وبعضهم بالمال- عافانا الله وإياكم من ذلك- فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطاً؟! وكيف يوفق من كان لسانه يابسًا من ذكره وجوارحه، معطلة عن طاعته، مشتغلة بمعصية ربه(٢).

١٠- إنها تعمي القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي، وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر على الحق، فيدرك الباطل حقًّا، والحق باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فينتكس في سيره ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة إلى السفر إلى الدار الدنيا، حيث مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحياة الدنيا، واطمأنت بها، وغفلت عن الله وآياته والاستعداد للقائه(٣).

---

(١) (المرجع السابق)، ٩٦/١٠-٩٧. بتصرف.
(٢) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المعاصي تضعف العبد أمام نفسه.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ٩٨/١٠-٩٩.

١١- الخسف بالقلب إلى أسفل سافلين، وصاحبه لا يشعر ومنها مسخ القلب، فكم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر! وكم من قلب ممسوخ وقلب مخسوف به! وكم من مفتون بثناء الناس عليه، ومغرور بستر الله عليه ومستدرج بنعم الله عليه وهو لا يشعر! وكل هذه عقوبات وإهانات ويظن الجاهل أنها كرامة، فيفسد من حيث يرى أنه يصلح، ويصد عن سبيل الله وهو يرى أنه يدعو إليها، ويشتري الضلالة بالهدى وهو يرى أنه على كل الهدى، ويتبع هواه وهو يزعم أنه مطيع لمولاه(١).

---

(١) المرجع السابق. ١٠/٩٨-٩٩.

المبحث الخامس

علاج أمراض القلوب منوط بالدعاة

لا شك أن الداعية إذا قام بالدور المنوط به على أكمل وجه، فإنه يسهل الحياة على أعضاء المجتمع بالتعلم والتعليم والرعاية والعلاج للأغراض الاجتماعية والفردية، ويمكن لأفراد المجتمع اكتساب ذلك من خلال متابعة الداعية، فإذا حدد الداعية كيفية أداء هذه الأدوار وقام بتسهيلها على الناس شدهم على الطريق الأمثل وأعانهم على اتباع الإرشادات الربانية بأن يكون قدوة لهم فإنه ينجح أيما نجاح.، ويتمثل نجاحه في الأمور الآتية:

أولا: إرشاد مرضى القلوب للاستشفاء بالقرآن الكريم:

مرَّ معنا أن جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات، والقرآن شفاء للنوعين؛ ففيه من البينات والبراهين الساطعة ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(ما أنزل داء إلا أنزل له شفاء)**(١) والواجب الاحتماء عن سبب المرض قبل حصوله وإزالته بعد حصوله؛ فصحة القلب تحفظ بما يقوي العلم والإيمان، فالقرآن شفاء لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات، ففيه من البينات ما يبين الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والقصور والإدراك بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وفيه من الحكمة والموعظة

(١) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٩٨٦م)، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، دار الريان للتراث، رقم ٥٣٥٤.

الحسنة بالترغيب والترهيب، والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محباً للرشاد، مبغضاً للغي بعد أن كان مريداً للغي، مبغضاً للرشاد، والقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته ويعود إلى فطرته التي فطر عليها(١)، فهو شفاء للقلوب من الجهل والشك والريب فلم، ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع من إزالة الداء من القرآن، ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فأول علاج يصفه الداعية لمريض القلب هو القرآن. وعلى المسلم أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن حتى يطرد الشيطان ويخلي القلب منه ليصادف الدواء محلاً خالياً؛ فيتمكن منه ويؤثر فيه؛ فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب، وقد خلا من مزاحم ومضار له فينجع فيه.

ثانيًا: إرشاد مرضى القلوب للاستشفاء بالسنة النبوية

أما السنة النبوية فقد أسهمت في إيجاد العلاج لكثير من مرضى القلوب، فعلى الداعية أن يوجه مرضى القلوب إلى الاستشفاء بالسنة النبوية، ونكتفي بذكر أهم أربعة منها:

أولا: الغضب وعلاجه:

أ- **الاستعاذة من الشيطان**

- لحديث سليمان بن صرد قال:كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال:**

---

(١) مرجع سابق، رقم: ٨١، ٩٢،٩٤، ٩٨.

أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد»، فقالوا له إن النبي ﷺ قال: «تعوذ بالله من الشيطان»، فقال: «وهل بي جنون»(١)؟!

وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلاج الغضب والتوتر أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(٢).

ب - أن يغير المرء من هيئته:

فإن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعدًاً فليضطجع، لحديث النبي ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(٣).

ج - السكوت والحذر من آفات اللسان:

لقول النبي ﷺ: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**» (٤).

ثانيًا: أما علاج الكبر فهو التواضع:

ففي الحديث الصحيح قال ﷺ: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**»(٥).

ثالثًا: داء الحسد

وهو اعتراض الحاسد على قسمة الله تعالى، وعلاجه في قول رسول الله ﷺ: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً**»(٦).

رابعًا: الرياء

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند الغضب، رقم الحديث ١٣١٩.
(٢) أبو داود، سنن أبي داود، ج٤، رقم ٤٧٨١، ص ٢٤٩.
(٣) أبو داود، سنن أبي داود، رقم ٤٧٨٢، ص ٢٤٩.
(٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج١، رقم ٢١٣٦، ص ٢٣٩.
(٥) أبو داود، سنن أبي داود، باب التواضع.
(٦) ابن رجب الحنبلي، (٢٠٠١م)، جامع العلوم والحكم، ج٢، ص ٢٥٧.

قال ﷺ محذراً من الرياء: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر (الرياء)، يقول الله يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»(١).

وأما أنفع الأدوية للرياء هو إخلاص النية في الأقوال والأعمال، والإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ..

ثالثًا: إرشاد مرضى القلوب للاستشفاء بالأدعية

منبع الدعاء القرآن الكريم وفيه الوقاية والشفاء من كافة الأمراض للأفراد والمجتمعات، ويكون الدعاء بأسماء الله الحسنى، ويدرب الداعية مريض القلب على الدعاء بأسماء الله، والاستغفار والمداومة عليه.فهناك طريقة رائعة للعلاج بأسماء الله الحسنى، فلكل اسم عمل وتأثير وقوة شفائية، ويعلم الداعية مريض القلب باختيار الاسم الذي يناسب حالته، فاسم **(الغني)** لعلاج الفقر والحاجة، واسم **(السلام)** لعلاج الخوف والقلق والإحباط، واسم **(القوي)** لعلاج الضعف بكافة أنواعه، واسم **(البارئ)** لعلاج كافة الأمراض... وهكذا. وتكرار أي اسم من أسماء الله الحسنى عدداً كبيراً من المرات حتى يتم الشفاء،. مع العلم أنه لا يوجد عدد محدد لتكرار الاسم، كلما ذكرت الله أكثر كان الشفاء أسرع! فيدرب الداعية مريض القلب بأن يستغفر الله كل يوم صباحًا ومساءً مائة مرة فيقول: **(أستغفر الله العظيم وأتوب إليه)**، فهذا الاستغفار مفيد للرزق وإصلاح الأولاد، وبذلك ينجيه الله من الأخطار والشرور ببركة الاستغفار، وهو شفاء للأمراض بجميع أنواعها. ولا بد من ملازمة الاستغفار،

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٤٢٨/٥ و٤٢٩، والألباني، السلسلة الصحيحة، ٦٧١/٢.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**»(١). وكان رسول الله ﷺ عقب كل صلاة يستغفر الله ثلاثاً، وقبل موته كان يقول: «**سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه**»(٢).

ويدرب الداعية مريض القلب على الأدعية النبوية المختارة وهي كثيرة، وقد ثبت أنها تشفي بإذن الله، ومن أهم الأدعية: «**اللهم أذهب الباس، رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**»(٣).

هذا وقد كان رسول الله ﷺ شديد التعاهد لقلبه يداويه ويصلحه، قالت عائشة رضي الله عنها: دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**». قالت: فقلت يارسول الله: إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء؟ فقال: «**إن قلب الآدمى بين أصبعين من أصابع الله** ﷻ **فاذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه**»(٤).

وهناك أشياء نفسية تؤدي الى الهموم والتعب، ومنها الكآبة والخوف والقلق والشك، وإن انشغال القلب بحب غير الله تعالى يجعله في حالة تعب وهم، وإن دواء ذلك هو دوام الاستغفار وذكر الله تعالى. . وسيد الاستغفار كما ورد عن النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا**

(١) أبو داود، سنن أبي داود، رقم ١٥١٨، وابن ماجة رقم ٣٨١٩، وأحمد في مسنده رقم ١/٢٤٨.
(٢) الصنعاني، سبل السلام، ج١، ص ٥٠٦.
(٣) متفق عليه.
(٤) الترمذي، سنن الترمذي كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، برقم ٢١٤٠، وأحمد في مسنده، ١٩/ ١٦٠، برقم ١٢١٠٧.

يغفر الذنوب إلا أنت»(١).

رابعًا: إرشاد مرضى القلوب للاستشفاء بالطاعات واجتناب الآثام والمعاصي

ويكون ذلك بأن يتخذ: مريض القلب بالأوراد والطاعات، ويجتنب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات، وهذا ما يورث في القلب العلم النافع والعمل الصالح، ومن استغفر الله ثم تاب إليه متعه متاعاً حسناً إلى أجل مسمى.

ويكون ذلك بأن:

١- يتخذ ورداً من الأذكار في النهار ووقت النوم، فمن فعل ذلك أيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه.

٢- يحرص على إكمال الفرائض وخاصة الصلوات الخمس.

٣- أن يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال وينال بها رفيع الأحوال.

٤- يكثر من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل(٢)، ومن أفضل الأدعية في ذلك: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(٣)، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾(٤).

٥- التقوى والصبر: ففيهما سعادة العبد، وبفقدهما يفقد العبد سعادته؛ لأن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله وطوارق الشبهات المخالفة لخبره الصادق، فبالصبر

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، (١٩٩٣م)، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ج٥، رقم ٥٩٤٧.

(٢) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري،(١٩٨٦م)، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم ٥٩٨١، دار الريان للتراث.

(٣) سبق تخريجه رقم ١٤٠.

(٤) [سورة آل عمران: ٨].

يدفع الشهوات، وبالتقوى واليقين يدفع الشبهات، وهذا الدواء من الأدوية الناجحة لعلاج مرض الحسد.

٦- الإخلاص فإذا كان القلب محباً لله وحده، مخلصاً له الدين، لم يقبل بحب غيره، وهذا الدواء من الأدوية الناجحة لعلاج مرض العشق، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب، فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه معبوده، فلا بد أن يتعبد قلبه لغيره، والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته.

٧- الإنابة إلى الله ومحبته، فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع الله محبة مخلوق تزاحمه فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيء لم يحصل معه عشق غيره إلا عند ضعف هذا الحب، فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله وترك المعصية حباً له قوي حبه له.

٨- الخوف من الله، فإذا كان الله أخوف عند العبد من كل شيء لم يحصل معه مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف هذا الخوف بترك بعض الواجبات وفعل المحرمات، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكلما فعل العبد الطاعة خوفاً منه وترك المعصية خوفاً منه، قوي خوفه منه فيزيل ما في القلب من خوف غيره.

٩- اليأس من حصول المطلوب من الشهوة أو غيرها، فإذا كان أيساً من المطلوب، فإن اليأس يزيل الطمع فتضعف الإرادة فلا يطلب ما هو آيس منه(١).

١٠- دوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته، لأن الشيطان يجلب إلى القلب الوساوس، ويقبل عليه بالشبهات،

---

(١) ابن تيمية، (١٩٩٥م)، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٠، ص ١٣٠.

ويزين له من الأحوال والأعمال ما يعيده عن الطريق، ويمده بأسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق، وينصب له من المصايد والحبائل ليوقعه في شركه أو على الأقل يعيقه، ولا نجاة من ذلك إلا بدوام الاستعانة بالله تعالى، والتعرض لأسباب مرضاته، والتجاء القلب إليه، وإقباله عليه في حركاته وسكناته، والتحقق بذل العبودية ليدخل في ضمان ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾(١). ولا عجب أن يكون للاستشفاء بالطاعات ذلك القائد العظيم في النفوس، فهو يزيد من ثقة مريض القلب بنفسه، وتزيد من قدرته على الصبر وتحمل المشاق، وتغرس فيه الشعور بالأمن والطمأنينة له (٢).

خامسًا: نصائح يقدمها الداعية لمرضى القلوب:

النصائح التي يذكرها الداعية لمرضى القلوب كثيرة منها:

١. زيارة القبور وخاصة لأصحاب القلوب القاسية.
٢. حضور مجالس العلم للانتفاع من الوعظ وتذكر الآخرة والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين ففي ذلك تليين للقلوب القاسية.
٣. تذكر الموت، فإنه يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي وذهاب الفرح بالدنيا وتهوين المصائب فيها، ويجلو القلب، ففي الحديث: **(أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فإنه ما ذكر في قليل إلا كثَّره، ولا في كثير إلا قلله)**(٣).

---

(١) [سورة الحجر: ٤٢].
(٢) مجلة المنهل، (١٤١٢هـ ١٩٩١م)، العدد ٤٩١، المجلد (٥٣)، فهد بن عبد الرحمن الرومي، النفس في القرآن الكريم، ص١٨٢ بتصرف.
(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تذكرة القرطبي، ص ٨٢.

٤. مشاهدة المحتضرين، فالنظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته عند مماته مما يقطع عن النفوس لذاتها ويبعث على العمل ويزيد من الاجتهاد للآخرة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن الداعية يجب أن يكون خبيراً بعيوب نفسه، وصاحب بصيرة نافذة، فلا تخفى عليه عيوب غيره، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، والأصل في الداعية أن يكون وافر العقل وأقل إخوانه إعجاباً بنفسه، وأعظمهم اتهاماً لها، يترك المداهنة ويخبر إخوانه بالعيوب، لا يحسد حتى وإذا كان من إخوانه من يحسد أو صاحب غرض أو من يداهن فيخفي عنه بعض العيوب ويمدحه ويثني عليه.

والداعية عارف بما يدور حوله، ذكي بصير بعيوب نفسه وعيوب الآخرين، ولكنه يتغافل عن كثير مما يصدر منهم مشفق عليهم ناصح لهم في الدين، وبعد أن يفرغ من تهذيب نفسه وعلاج قلبه يشتغل بتهذيب إخوانه وينصح لهم، فهو بمثابة القدوة التي يقتدى بها والطبيب الذي ينجي بفضل الله من مرض القلوب.

فمن أراد علاج أمراض قلبه فعليه أن يثق بداعية حكيم مطلع على خفايا الآفات فيحكمها في نفسه ويتبع إرشاداته، ويجاهد نفسه لتطبيق هذه الإرشادات؛ لأن المسلم مرآة أخيه، والأخ الصادق يعرف أخاه بعيوب نفسه ويصف له العلاج الناجع. فأما الداعية فطبيب لطيف عالم بالمرض، فإذا استجاب المريض لدوائه حصل الشفاء التام بإذن الله(١).

وعلى الداعية مخالطة المريض وملازمته، وأن يبث في نفسه الأمل، ويبشره بأنه إذا ثبت سيجد الفرحة والسرور واللذة، ويعلمه أن هذه العصرة والقبض أثناء العلاج دليل على بدء حياة القلب وولادته من جديد، وأن لديه القوة والاستعداد لتخطي هذه

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص ٥٤، "بتصرف".

المرحلة، فإذا صبر انتقل إلى رياض الأنس وجنات الانشراح، وإن لم يصبر انقلب على وجهه، والعياذ بالله.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد إتمام هذا البحث خلص الباحث إلى ما يلي:

١- أن القلوب تمرض كما تمرض الأجسام، وأن الذي يهتم بمرض قلبه عدد قليل من الناس، وأن عددًا كبيرًا من الناس لا يعرفون أن قلوبهم مريضة؛ فلذلك يغفلون عن علاجها.
٢- أن القلب هو ملك الأعضاء، ومصدر سعادتها أو شقائها، ومصدر صلاحها أو فسادها.
٣- أن صلاح أعمال العبد بسبب صلاح قلبه، وفساد أعماله بسبب فساد قلبه.
٤- أنه لا صلاح للقلب حتى تستقر فيه معرفة الله، وعظمته، ومحبته، وخشيته، ومهابته، ورجاؤه، والتوكل عليه.
٥- صاحب القلب السليم هو الذي لم يلعن شيئًا قط، وهذا هو القلب الخالص الخالي من البدعة، المطمئن إلى السنة.
٦- صاحب القلب الحي في قلبه حياء يمنعه عن القبائح، ولذلك علامات كثيرة وأسباب.
٧- مدار اعتلال القلوب يقوم على أصلين:
أ- فساد العلم.
ب – فساد القصد، ويترتب عليهما داءان قاتلان: الغضب والضلال، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان ملاك أمراض القلوب جميعها، وشفاء ذلك بالهداية العلمية والعملية لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
٨- للدعاة دور مهم في علاج أمراض القلوب لإصلاح الفرد والمجتمع إذا كانوا أهلا لذلك، ويكون بإرشادهم الناس إلى

الطريق الأمثل، وإعانتهم على اتباع الإرشادات الربانية بأن يكونوا قدوة لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

المصادر والمراجع

١) (القرآن الكريم).
٢) الألباني، الإمام أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٢٠ هـ صحيح الجامع، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.
٣) ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس، رسالة في تزكية النفس، تحقيق محمد سعيد القحطاني.
٤) ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس، مجموع الفتاوى،(١٣٩٨هـ)، دار العروبة، بيروت، ط٢.
٥) ابن حجر، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١٤١٨هـ -١٩٩٧م) فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة، بيروت، طبعة١.
٦) ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، مراجعة ماهر ياسين الفحل. دار المعرفة، بيروت، ط١.
٧) ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (١٩٧٥م)، تحقيق محمد خليل هراس، الأموال، ط ٢، دار الفكر.
٨) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، (١٩٨٦)، المغني، ط١، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
٩) ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (١٩٧٥)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ط٢.
١٠) ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (١٩٧٥)، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١) ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (١٩٩٧)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار

الكتب العلمية، بيروت، ج١..
١٢) ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي،(١٩٧٣م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢.
١٣) ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، ج١.
١٤) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين عبدالله محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت.
١٥) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ١٢٥/٤- ، النووي: (أبو زكريا يحيى بن شرف النووي)، الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة.
١٦) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، رقم ٨٠٨١، والترمذي رقم ٢٣٠٥، و(حسَّنه الألباني).
١٧) ابن حنبل، مستد الإمام أحمد، فضائل الصحابة، رقم ١/١٧٣.
١٨) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٤٢٨/٥ و٤٢٩، والألباني، السلسلة الصحيحة، ٦٧١/٢.
١٩) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، (١٩٩٥)، رقم ٣٦، حكم الشيخ الألباني على الحديث (صحيح) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٠) أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق الأصبهاني، (١٩٩٢م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر.
٢١) أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق الأصبهاني، (٢٠٠١م)، صفة النفاق ونعت المنافقين، ط١، البشائر الإسلامية، بيروت. المكتبة الشاملة.
٢٢) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري،

في(الإيمان/١/١٢٦- فتح)، ومسلم، أبوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في (المساقاة/٣/١٢١٩)، متفق عليه.
٢٣) البخاري، صحيح البخاري، (١٩٩٣م)، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ج٥، رقم ٥٩٤٧.
٢٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (١٩٨٩م)، تفسير البغوي، دار طيبة.
٢٥) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت..
٢٦) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (١٩٧٩)، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٢، بيروت.
٢٧) حداد، سليم، ترجمة، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد.
٢٨) الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، (١٩٨٧م)، سنن البدارمي..دار المغني، الرياض.
٢٩) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (١٩٨٦)، الطب النبوي، دار مكتبة التربية، بيروت، لبنان،.
٣٠) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، (١٩٩٠م)، التفسير الكبير، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، (٢٠٠١م)، المفردات لغريب القرآن، ط٣، دار المعرفة، بيروت.
٣٢) الرشيدي، بشير صالح الرشيدي وآخرون، (٢٠٠٤)، الموسوعة العلمية للتربية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط١، الكويت.

٣٣) زغلول، راغب محمد النجار، موقع طريق الإسلام، العلماء والدعاة.
٣٤) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (١٩٧٢م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالكريم العزباوي، مراجعة عبدالستار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت.
٣٥) السالوس، علي السالوس، (١٩٩٨م)، الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة، ط١، دار الريان، بيروت..
٣٦) سلام، الحاج، (كاتبة وإعلامية) قضاء الحوائج، الشفاء بالقرآن والأذكار من الآلام والأحزان، منتدى القرآن الكريم.
٣٧) الشناوي، عبد العزيز، (١٩٩٦)، كنوز القرآن وبيان الفرقان، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط١.
٣٨) الشوكاني، محمد بن علي، (١٩٨٤م)، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ط١، ص ٣٨٢، دار القلم، بيروت.
٣٩) الصنعاني، سبل السلام، ج١.
٤٠) الطهطاوي، رفاعة رافع، (٩٧٣)، الأعمال الكاملة، محمد عمارة (دراسة وتحقيق) بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٤١) الطيب، إدريس علي، معجم القرآن الكريم في بيان نوع القلوب وصفاتها الحسنة، دراسات دعوية، العدد ١٦، يونيو ٢٠٠٨م.
٤٢) عبد الآخر حماد، القلب بين التعريف الطبي والاصطلاح القرآني، المختار الإسلامي، موقع شبكة النور.
٤٣) عبد المنان، حسان، (١٩٩٤م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (كتاب يجمع ألفاظ القرآن ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها). بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٤٤) العثيمين، محمد بن صالح، (١٤١٥هـ)، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط١، دار العاصمة، المكتبة الوقفية.
٤٥) العصيمي، عبد الرحمن، القلب في السنة النبوية، شبكة قوت القلوب، آذار ٢٠١٣.
٤٦) الغزّالي، أبو حامد محمد الطوسي، (٢٠١١م)، إحياء علوم الدين، ط٢، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة.
٤٧) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.
٤٨) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الأندلسي، (١٩٥٢)، جامع البيان في تفسير آيات القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.
٤٩) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الأندلسي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي.
٥٠) لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، (١٩٨٤)، دار الفكر، بيروت، ط ٣.
٥١) مجلة المنهل، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، العدد ٤٩١، المجلد (٥٣)، فهد بن عبد الرحمن الرومي، النفس في القرآن الكريم، ص١٨٢ بتصرف.
٥٢) مسلم، أبوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٥٣) النابلسي، (محمد راتب)، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، الدرس (٧-٣٠) لماذا يخاف الإنسان؟
٥٤) النسائي، الإمام أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، المكتبة الشاملة.
٥٥) النعيمي، قسطاس إبراهيم، (٢٠١٣)، الإعجاز العلمي في

قوله تعالى: لهم قلوب يعقلون بها، جامعة الإيمان.
٥٦) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الأربعين النووية في الأحاديث النبوية الصحيحة. المطبعة المصرية ومكتبتها، مصر.



